

ولم يكن في وسعه، هو بالذات، أن يستخفّ بمثل هذا الامتياز. ولسوف يتبعه ما دامت ساقاه قادرين على حمله.

بينما كان «مالكوس» غارقاً على هذا النحو في أفكاره كان «ماني» مستغرقاً فيما يدور بخلده هو. كان قد سار إلى ضفاف «دجلة». وهناك، في مكان يغشاه الناس أقل مما يَغشون غيره، هبطت حماسته ليحلّ الحصرُ محلّها.

وعندما لم يكن يحظى بالحماية ولا بمقابلة الملوك كان يحلم بأن يُمسك بالعالم بيديه العاريتين. ولكن ها هو ذا وقد مُنِح العالم، وعُبدت له الدروب، وغدا من الواجب أن يبدأ الفتح! الفتح من غير أسلحة! أن يجرّ ساقه المعطوبة من بلد إلى بلد، ويواجه المَرازية والأمم والطوائف والشّيع والأخويّات، ويزعج القطعان المُحرّبة والطقوس المُحوّلة إلى عظام وكلّ أنواع الكُمدّة في كلّ إنسان؟ أن يعلم ويكتب ويرسم وينقاش بلا هوادة ثم ينطلق إلى مرحلة اليوم التالي فيجمع حشوداً أخرى ويتبدع لكل جمهور من المستمعين النبيرة التي تخلب وتُريك وتؤاسي وتلهب في آن، إلى أن تغدو البشرية جمعاء مُشكّلة من جديد؟.

وكما كان يحدث له في بعض الأحيان فإن تأملاته التي تبدأ بشكل مناجاة مع النفس قد انّحذت في لحظة من اللحظات شكل حوار مع «أناه الأخر»، مع «توأمه».

- ما هو الوقت الممنوح لي لكل ما عليّ عمله؟.

وقال له «الأخر»: «لن تعلم شيئاً من هذا»

- هل لي أن أعرف على الأقلّ ما إذا كنت أملك بعد سبع سنوات، ما إذا كنت سأبلغ ما بلغ «المسيح» و«الإسكندر» من العمر؟.

«تملك الأبدية واللحظة، فما همّ؟ الزمن شصّ «الظلمات» فلا تنخدع، ولا يكنّ لك من همّ سوى رسالتك، في كلّ يوم!».

- أستطيع أن أعرف على الأقلّ ما إذا كنت سأرى نهاية عملي؟.